شبكة المعلومات الجامعية

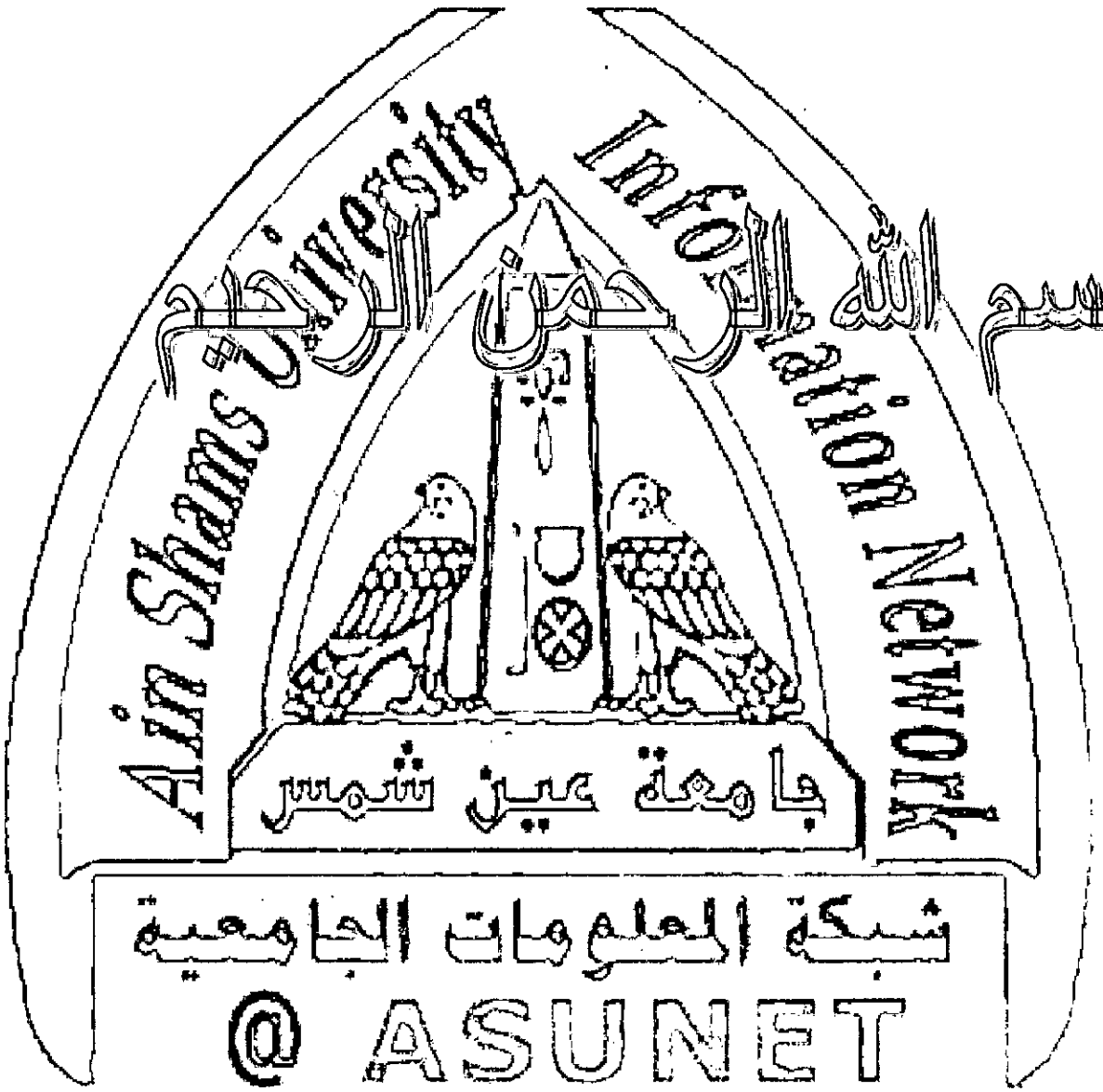

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

شبكة المعلومات الجامعية

جامعة عين شمس

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأفلام قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأفلام بعيدا عن الغبار

في درجة حرارة من ١٥-٢٥ مئوية ورطوبة نسبية من ٢٠-٤٠%

To be Kept away from Dust in Dry Cool place of 15-25- c and relative humidity 20-40%

بالرسالة صفحات لم ترد بالأصل

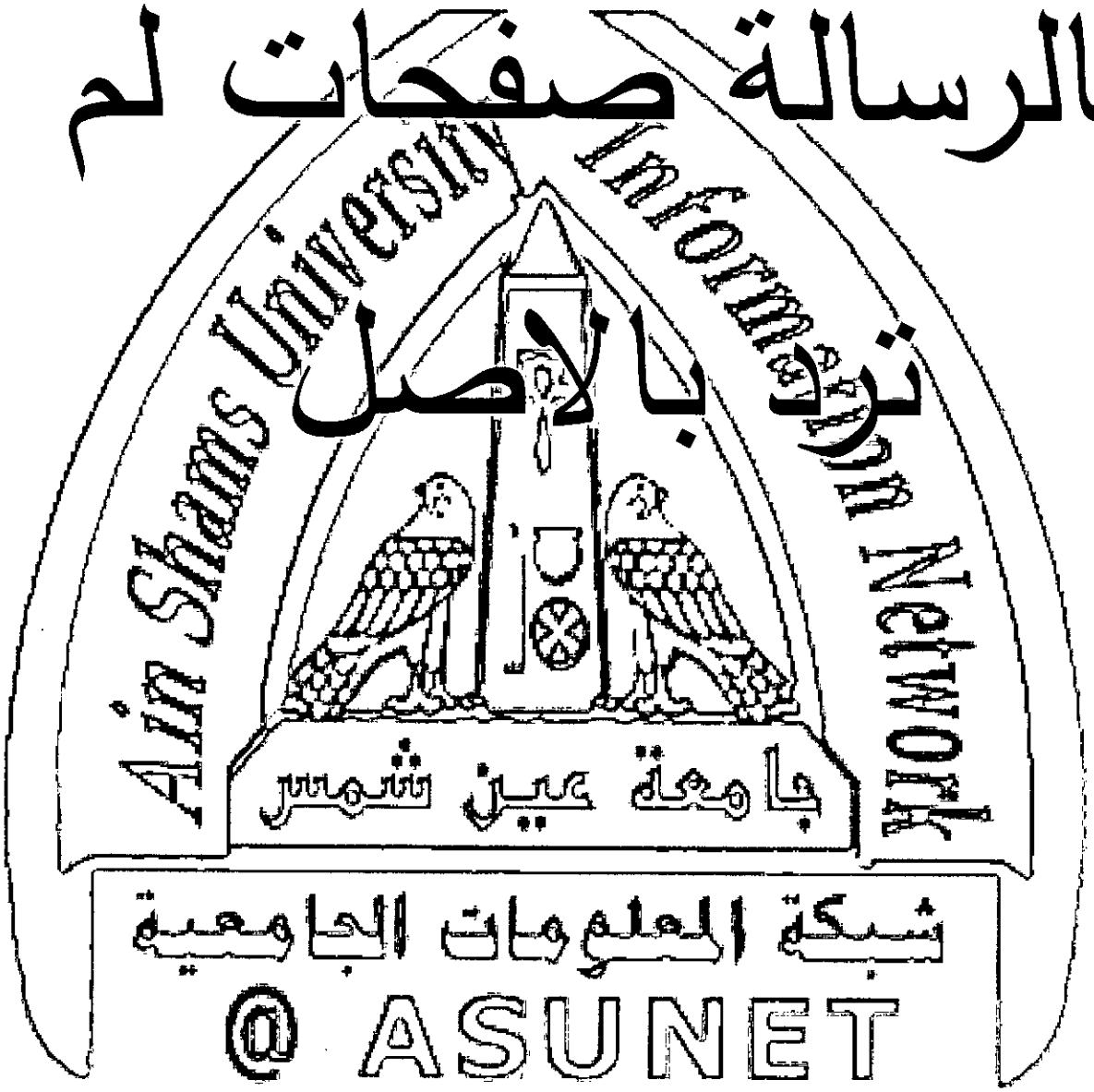

بعض الوثائق
الأصلية تالفة

Ain Shams University Information Network
جامعة عين شمس
شبكة المعلومات الجامعية
@ ASUNET

جامعة الإسكندرية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

٦٦٠

كتاب الآداب

لجعفر بن شمس الخلافة

"تحقيق ودراسة "

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير
من الطالبة

أحلام حسن عبد العال عباس

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور
عثمان سليمان موافى

ومشاركة **الدكتور**
أحمد أحمد فشل

٢٠٠٦
٢٧٦٢ ص

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾

صدق الله العظيم

الآية : (طه : ١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

" به ثقتى وعليه اعتمادى "

توطئة

منذ اللحظات الأولى التى خطت فيها قدمى قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وأنا أشتاق لأن أنهـل مـن مـنابع تراثنا العربى الأصيل ؛ دواوين شعرائه ، وكتب مؤلفيه ونقاده ، ولطالما كان أساتذتى يكررون على مسامعنا : "اقرءوا أمهات الكتب ، وقفوا على أصولها " .

وعندما بدأت البحث عن موضوع لأتخذه أطروحة لنيل درجة الماجستير وجدتنى أبحر عبر موضـوعات عديـدة ، ولكننى كنت أجد من نفسى عزوفاً عنها بعد تفكير فيها ، وما كان هذا إلا صدى لما بثه فينا أساتذتنا من نزوع إلى مكتبتنا العربية الأصيلة ، التى طالما روت ظمأ كثير من الباحثيـن ، ووجدت أن أدب الحروب الصليبية هو الأكثر جاذبية بالنسبة لى ، ولم لا وهو عصر الـبطولة والفروسية ، الذى يستحوذ على انتباه كل من يقف عليه ، ذلك العصر الذى زخر تاريخه بالأحداث العظام مما جعله يستحق التأمل ، لاستلهام العبر والعظات ، وإدراك كيف يمكن أن تحقق الإرادة العربية مآربها إذا توافر لها الجو الملائم ، وكيف يمكن أن تنهض بالمهام الجسام بإرادة لا تقهر لترفع راية العروبة .

وعـندما بـدأت أقرأ عن هذا العصر ، أدركت أننا نعانى من غياب كثير من كتبه فى دور المخطوطـات ، حيـث طواها النسيان ، ومن انتبه إلى شىء من هذه المخطوطات ، وعمل على إخـراجه ، لم يخرجه فى الصورة المثلى ، التى تظهره فى إطاره الذى يستحق ، حتى أن الدكتور أحمد أحمد بدوى يختم كتابه الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بقوله :

" وبعـد فـإن واجـب البحـث العلمى يقتضى أن أقرر أن كثيراً من أدب عصر الحروب الصـليبية لا يـزال خبيئاً فى الخزائن ، مخطوطاً أو مصوراً ، لم يحقق تحقيقاً علمياً ، يظهره فى أكمل صورة ممكنة ، وأن من الواجب تضافر القوى على نشر هذا الأدب وإذاعته ، حتى يكون من الميسور دراسته فى صورة أوسع من هذه الدراسة التى أقدمها "[1].

وتمنيت أن أظهر للعيان كتاباً محققاً من كتب هذا العصر ، وقد كان وبدأت أنقب فى طيات المخطوطـات عن موضوع أدبى أحس فى نفسى شغفاً به .. وإقبالاً عليه . حتى وقعت على كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة.

---

(١) الحياة الأدبية : ٥٦٦ .

وكان بحق ضالتى التى تمنيتها ، فالكتاب يتمتع بمنحى تربوى أدبى أخلاقى ، وينبو عن كل بـذىء فاحش ، ويُعنى بفنى القول النثرى والشعرى معا ، وعجبت كيف يحمل كتاب كهذا هذا الكم الهائل من أقوال الحكماء والأدباء ثم نعجز عن إخراجه فى صورة تظهره فى حلة بهية تفيد القارئ، بالرغم من أننا فى أمس الحاجة إلى ما فيه من آداب جمة فى لغة أصيلة سليمة موجزة لننشرها بين أجيالنا ، وكان هذا كله حافزا لى على اختيار هذا الموضوع للدراسة والتحقيق .

وبالـرغم من أننى وجدت الكتاب مطبوعا بمعرفة الأستاذ أمين الخانجى ، فقد وجدت هذه الطـبعة طـبعة تجارية ، لم تعتمد على أصول التحقيق العلمى ، كما وجدت أنها تحوى الكثير من التصحيف والتحريف وهى شبه خالية من الحواشى.

فعرضـت الأمر على أستاذى الجليل الدكتور / مصطفى الصاوى الجوينى – رحمه الله – فقبل مشكورا الموضوع ووافق على الإشراف على رسالتى ... وشجعنى على المضى فيها ، فكان نعم الأب الموجه الذى سدد خطواتى الأولى فى البحث ، ولن أوفيه حقه من العرفان ، فأسأل الله أن يتغمده برحمته ويدخله فسيح جناته ، إنه سميع مجيب الدعاء .

ثم انتقل الإشراف على البحث إلى أستاذى الجليل الدكتور عثمان موافى الذى أسعدنى الحظ بـأن قـبل الإشـراف على رسالتى فتعهدنى بالرعاية ، ولم يألُ جهدا فى تهذيب ما فى البحث من مواطن ضعف أو خلل ، بصبر إلى ما يخدم عملى ، وإلى ما يفيدنى فى حياتى العلمية المقبلة ، فلقد أخذ بيدى إلى الطريق الصحيح ، وأرشدنى لكى أسلك المنهج السليم فى البحث ، وأمدنى من خبرته . فسـأظل مقيدة بالعرفان له ما حييت . فجزاه الله خيرا عنى وعن جميع تلامذته الذين يفيدون من علمه .

وقـد كـان الإشراف بمشاركة أستاذى الدكتور / أحمد أحمد فشل الذى قبل الإشراف على البحث منذ بدايته ، فله أدين بالشكر والعرفان .

وأخيرا أقول إذا كان فى بحثى مواطن للجودة فالفضل فيه لأساتذتى الذين شملوا هذا البحث بالرعاية والتوجيه ، أما ما فيه من ضعف أو خلل فهو تقصير منى أرجو أن أتداركه إن شاء الله .

والله الموفق إلى سواء السبيل .

هو نعم المولى ونعم النصير .

القسم الأول : الدراســـــة

جعفر بن شمس الخلافة
وكتابه الآداب

عصر المؤلف

الحياة السياسية :

عاش الأديب المصرى جعفر بن شمس الخلافة فى القرن السادس والربع الأول من القرن السابع، ولا يمكننا أن نفهم الأدب بمنأى عن بيئته ؛ فالأديب هو محصلة العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، التى تمر بعصره وتؤثر فى بيئته؛ والمؤثرات الكبرى التى أثرت فى هذا العصر تتمثل فى عاملين رئيسين: الحروب الصليبية وانهيار الدولة الفاطمية وقيام الدولة الأيوبية .

١ - الحروب الصليبية :

فى القرن الخامس الهجرى كان ينمو فى أوروبا أكبر المؤثرات التى ستعصف بالشرق خلال قرنين من الزمن ، كانت تعتمل القوى لتشكل تلك الجحافل التى ستدهم شرقنا العربى الإسلامى ، فقد عمل البابا أوربان على تجميع الأساقفة المتنازعين فيما بينهم ، وتوحيد الملوك المتصارعين من أجل هدف يحصل لهم غفران الرب، فجمع الحشود ، يخطب فيهم ويقص عليهم ، كيف اتسعت رقعة الإسلام فسيطر المسلمون على بيت المقدس ، ودنسوا – بزعمه – الكنائس وأهانوا الحجاج وساموهم ألوان العذاب ، حتى استغاث به المسيحيون فى الشرق وطلبوا منه أن يمد لهم يد العون .

وقدأثرت بلاغته فى الحاضرين فتعالت الصرخات : "هذه إرادة الرب" وبدأت الاستعدادات ، وأخذ الأساقفة يعلنون دعوة أوربان ويسيرون على نهجه فى التبشير بالغفران لمن يُقتل فى هذه الحرب ، فاستطاعوا أن يجمعوا إليهم عددا كبيرا من هؤلاء الأوروبيين الذين أصابهم الجفاف ، وفتكت بهم المجاعات .

وقد كان للنظام البكورى لوراثة الحكم فى أوروبا دور مهم فى إشعال فتيل هذه الحرب، فأبناء البيوتات الملكية الذين لن يؤول لهم الحكم فى بلادهم –لأن لهم أخوة أكبر سناً– كانوا يتطلعون لإيجاد ممالك لهم فى الشرق، والحقيقة أن دعاوى البابا كانت تروج لحرب عدائية تجاه الإسلام والمسلمين ، وليسبغ الداعون إلى هذه الحرب صفة القداسة عليها حملوها شعار الصليب، ولم تكن تلك الحشود إلا جماعات من عتاة المجرمين، الذين يطمعون فى غفران الرب فأصبح كل ما يفعلونه مسوغاً، وأصبح كل ما يرتكبونه من جرائم وحشية هى إرادة الرب. وليس أدل على ذلك

مـــن الجرائم التى ارتكبوها فى حق القرى التى دخلوها فى رحلتهم الأولى إلى الشرق، فبالإضافة إلى السرقة والنهب أعملوا طاقات التدمير المخزونة فى ذواتهم الحاقدة لتعذيب الفلاحين والقرويين، وقد كان هؤلاء القرويون فى الغالب مسيحيين، يقول المؤرخ بردج : "ولم يخطر ببالهم أن القرويين السيئى الحظ كانوا جميعا من المسيحيين الإغريق الذين قدموا على ما يظهر للمساعدة " (١).

ومـــا يـــتحدث عنه بردج ليس إلا محاولة لتبرير مالا يبرر، وهو بعيد كل البعد عن روح البحث المحايد المنصف. فهؤلاء المسيحيون الذين يحملون الصليب شعاراً مقدسا، وأتوا ليدافعوا عن إخوانهـــم فى الدين وينتقموا من المسلمين، تناسوا كل هذا فسرقوا كل شيء حتى صفائح الرصاص من سطوح الكنائس كما يقرر كتّاب التاريخ الصليبى ومنهم بردج نفسه (٢) .

لكن هذه الجحافل التى دمرت كل شيء فى طريقها وقتّلت الأطفال والنساء، لم يدم لها الأمر طويـــلا فقـــد اســـتطاع الأتراك أن يحصروهم فى قلعة الرغوردن التى كانوا يستخدمونها كقاعدة لغـــاراتهم، وتمكنوا منهم، ثم تركوا بقيتهم يفرون عن طريق البحر إلى بلادهم منهزمين، لكن هذه الحملة الفاشلة لم تردع الصليبيين. فما زالت قلوبهم تتأجج بالحقد تجاه المسلمين. وعطشهم للدماء لم يرتو فاتجهت أبصارهم إلى اليهود الذين يعايشونهم فى أوروبا، وقاتلوهم بقسوة، واستطاعوا فى البداية أن يحققوا نصرا مطرزاً بفنون البشاعة ، لكنهم ما لبثوا أن انهزموا أيضا أمام جنود الملك كولومان.

وبالـــرغم مـــن أن توحيد الصفوف، والعمل على تجنب الخلافات كان أمرا يصعب التغلب علـــيه، فقـــد استطاع الصليبيون أن يسدوا شقوق الخلاف فيما بين قادتهم ليقوموا بحملة جديدة إلى الشـــرق، لكـــنها هذه المرة كانت أقوى وقد استفادت مما أصابها سابقاً، فتمكنت من السيطرة على المـــدن التركـــية الواحـــدة تلو الأخرى، واستمرت الأعمال الوحشية والمذابح وفتحت أيدى الخيانة أبواب أنطاكية أمام الصليبيين، فقُتل جميع من فيها حتى المسيحيين، ويصور لنا بردج هذه المذبحة فـــيقول " وكانـــت بربـــرية ووحشية إلى حد بعيد، لم يُترك منها أحد حياً ، حيث جرى ذبح النساء والأطفال إلى جانب رجالها ، كما كان الخطأ من نصيب عدد من اليونانيين والأرمن " (٣) .

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية لبردج : ٤٤ .

(٢) المرجع السابق والصفحة .

(٣) تاريخ الحروب الصليبية لبردج : ٨٨ .

ويُقر بردج فى هذه العبارة بأن الهدف كان قتل النساء والأطفال والرجال المسلمين وإبادتهم تماماً فهذا هو الصواب ، على حين يرى الخطأ هو وقوع بعض المسيحيين بين القتلى .

ويهمل المسلمون أمر الصليبيين فيتمكنوا من الاستيلاء على القدس سنة ٤٩٢ هـ وقد كانت المذبحة هناك بغيضة بحق ، حيث أحرقوا الناس أحياء، وقتلوا كل رجل وامرأة وطفل، وامتلأت الشوارع بجثث الموتى، وتوطد ملك الفرنج - ولو لحين - وعليهم أن يناضلوا من أجل استمراره ، وفى صلب الأراضى العربية اتخذ الصليبيون مركزهم، وانطلقوا من هناك يغيرون على أراضى المسلمين ، وظل بعض ملوك المسلمين يناضلون من أجل سلامة أراضيهم التى يبسطون نفوذهم عليها إلا أنهم لم يستطيعوا أن يجمعوا شتاتهم ليحاربوا تحت راية واحدة من أجل استعادة أراضى المسلمين كاملة، ولم يكن خافياً أنه لن يتأتى للمسلمين النصر إلا إذا جمعوا شتاتهم لمواجهة هذا الغزو ، وظهرت بارقة الأمل فى ذلك الملك القوى صلاح الدين، فقد استطاعت قوته التى طالما خشيها الصليبيون أن تقهرهم فى أكثر من موقعة، وأخيراً استكمل صلاح الدين عدته، فكانت موقعة حطين سنة ٥٨٣ هـ التى أعادت إلى المسلمين ثقتهم التى وضعت حداً لهذا المد المستبد، وبالرغم من الوحشية التى مارسها الصليبيون فإن صلاح الدين كان ملكاً تجتمع فيه أخلاق الفارس .

يقول رنسيمان مؤرخ الحروب الصليبية : "الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، فبينما كان الفرنج منذ ثمانى وثمانين سنة يخوضون دماء ضحاياهم ، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة ، بناء على أوامر صلاح الدين ، يطوفون بالشوارع والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين" [١] .

وقد تبدى الوجه القبيح لهذه الحملات فى أثناء خروج البطريرك من القدس ، فها هو يخرج حاملاً أكوام الذهب ، وهو الذى ساند حرباً ترفع إرادة المسيح ، فإذا بها حرب تزيد خزائنه ثراء .

ويسجل رنسيمان هذه اللحظة التى يسعى فيها باليان إلى افتداء الفقراء من المسيحيين مقابل ثلاثين ألف دينار فيقول : " ولم يحفل البطريرك وهيئته الكنسية إلا بأنفسهم، ودهش المسلمون حينما رأوا البطريرك هرقل يؤدى عشرة دنانير ، مقدار الفدية المطلوبة منه، ويغادر المدينة، وقد انحنت قامته لثقل ما يحمله من الذهب ، وقد تبعته العربات التى تحمل ما بحوزته من الطنافس والأوانى المصنوعة من المعادن النفيسة " [٢] .

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية لرنسيمان : ٢/ ٥٧٢ .

(٢) نفسه : ٢/ ٧٥٢ - ٧٥٣ .

وهـــذا الـــذى يخبرنا به رنسيمان يؤكد أن هؤلاء المسلمين المشدوهين من أحمال الذهب ، فضلاً عن تقدير هذه الفدية الهزيلة لم يتطلعوا إلى رد هذه المسروقات إلى خزائن بيت المال ،ولم يكن يعنيهم تحصيل المكاسب المادية بقدر ما كان يعنيهم استعادة أراضيهم المغتصبة.

وبالرغم من أن الصراع العربى الصليبى لم ينته مع انتصار المسلمين فى حطين، إلا أنها أعادت للعرب شرفهم، وجعلتهم على أعتاب النصر الحقيقى، كما أنها أثبتت أصالة المحارب العربى النبيل ، يقول رنسيمان : " ففى وقعة قرون حطين ، وعلى أبواب بيت المقدس انتقم صلاح الدين لمـــا حـــدث فـــى الحرب الصليبية الأولى من المهانة والإذلال وأثبت كيف يحتفل الرجل الشريف بانتصاره" (١).

ومن المملكة الصغيرة التى بقيت للصليبيين حول عكا، كانت الهجمات التالية، وظل صلاح الدين فى صراعه ضد الصليبيين حتى وافته المنية سنة ٥٨٩ هـــ وعلى الرغم من الصراع الدامى الذى دار داخل البيت الأيوبى على الحكم، فإن هذا لم يلههم عن مواصلة جهادهم، وآل الحكم أخيراً إلـــى الملك العادل، وأدرك الصليبيون أنه ما من سبيل إلى استقرار ملكهم إلا إن تمكنوا من مصر، وهكذا أحكموا قبضتهم ووجهوها إلى دمياط على شكل أسطول بحرى عظيم سنة ٦١٥هـــ(٢).

وتوفـــى الملـــك العـــادل فى لحظة حاسمة ومهمة، فالصليبيون يهاجمون دمياط ويحققون انتصـــارات ضـــئيلة ولكنها مهمة ضد جيش الكامل. الحريص على توحيد مصر، ويجتمع الكامل بأخـــيه المعظـــم ، ويقترحان التفاوض وبذل بيت المقدس من أجل سلامة مصر ، ولكن الصليبيين يرفضـــون "فإذا كان الاختيار بين مصر والقدس فقد كان القرار فى صالح مصر أولاً ، أما القدس فسوف يحصلون عليها فيما بعد " (٣).

وقد أوضح الكاردينال بيلاج لمبعوثى السلطان الكامل هدف هذه الحملة حيث أخبرهما" "أن هـــدف هـــذه الحملة ليس الدخول فى مفاوضات، بل إن الهدف المعلن والمنشور، هو القضاء على الكفرة مادياً ومعنوياً، وتفوق المسيحية على الإسلام. وكان من المفترض أن تكون الإجابة هى محو

---

(١) تاريخ رانسيمان : ٢/ ٧٦٥ .

(٢) انظر الكامل فى التاريخ : ١٢ / ٣٢٠ .

(٣) مفاتيح أورشليم : ١٢٧ .

المهـــزوم مـــن الوجـــود"[1] ، ولكن حتى هذا الهدف الوحشى لم يكن إلا هدفاً معلناً أو ساتراً دينيا للحقيقة.

ووقعـــت هزيمة الصليبيين فى فارسكور، فجدد الكامل عرضه من جديد مع بناء الحصون التى هدمت بما فيها أسوار أورشليم. لكن عادت الغطرسة الصليبية ترفض عرض الكامل واستطاع الصـــليبيون أن يسيطروا على دمياط، وقدر عدد سكانها آنذاك بحوالى ٨٠٠٠٠ بقى منهم على قيد الحـــياة ثلاثة آلاف فقط ، وحُوّل المسجد إلى كنيسة، وتم تقطيع المنبر الذى كان تحفة فنية وحرقت المصاحف الشريفة.

وللمرة الثالثة يعرض السلطان الكامل التفاوض على القدس فى مقابل دمياط ، ولكن الفرنجة يرفضون كل العروض ، وفى عام ٦١٨ هـــ انطلق الصليبيون إلى تحقيق أملهم فى الاستيلاء على القاهرة ، فكان لزاما أن يواجهوا جيوش الكامل التى عززتها جيوش أخويه المعظّم والأشرف .

واســـتطاع الكـــامل بذكائه أن يستدرج الصليبيين ويمنع عنهم الإمدادات التى كانت تصلهم بالســـفن عـــبر النيل ، ثم أمر بفتح السدود ليتدفق طمى النيل وماؤه ويُغرق كل شىء ويشل حركة الصليبيين . وهكذا ذابت غطرسة الفرنجة وقرروا التفاوض ، وهم فى حال لا يُحسدون عليها.

لم يكن الكامل أقلّ شرفا أو فروسية من عمه صلاح الدين ، فاستقبل الملك جان دى بريان لـــيس كملك مهزوم لكن كفارس بائس . وبما أن الملك المهزوم كان بائسا لما حلّ بشعبه من جوع فقـــد دمعت عيناه أمام هذه المأدبة الفاخرة التى قدمها له الكامل، فلما سأله عن ذلك أجاب: " مولاى أرى الشـــعب الـــذى عهد الله به إلىّ يموت جوعا ". وتكفل الكامل بإطعام جيشه فأرسل لهم ثلاثين ألف رغيف خبز فى الحال ، وفى حين سمح للقادرين منهم بشراء احتياجاتهم من متاجر السلطان ، واستمر فى إرسال الخبز للفقراء. " روى أوليفين دو كولو هذه الأحداث ، قال : "هؤلاء الذين قتلنا منهم فى الماضى الآباء والبنات والأشقاء والشقيقات فى عدة معارك ، هؤلاء الذين نزعنا عنهم سُبل الحياة وطاردناهم عراة فى أماكن إقامتهم، عندما كنا نموت جوعا أعطونا من قوتهم وبدون حساب، وعاملونا بالحسنى ونحن تحت رحمتهم وسطوتهم " [2].

---

(١) بردج : تاريخ الحروب الصليبية : ٤٤ .

(٢) مفاتيح أورشليم : ١٥٤ .